

رحلة الفقيه ابن العربي المالكي إلى  
المشرق وآثارها العلمية (468-

أ.د. أحمد عباس  
البدوي (\*)

ملخص البحث:

هذا البحث بعنوان: "رحلة الفقيه ابن العربي المالكي إلى المشرق  
وآثارها العلمية"

تناولت فيه مفهوم الرحلة وأهميتها، ثم عرّفت بابن العربي الفقيه  
العالم، كما ذكرتُ رحلته التي كانت رحلات في رحلة أو رحلة في  
رحلات.

ثم عشتُ آثار هذه الرحلات العلمية وثمراتها التي تجلت في  
التدريس والقضاء ثم التأليف.

(\*) أستاذ التفسير وعلوم القرآن، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الإمارات العربية  
المتحدة.

### **Abstract:**

In this research "The journey of the Jurist Ibn al-'Arabi Almalik", the researcher discusses the concept of the scientific journey and its significance. The research also, includes a presentation of Ibin al-'Arabi's life, and his journey which was actually a journey of many journeys or many journeys in one. in addition, the research studies the impact of these scientific journeys, and their achievements which had been manifested in ibn alarabi's works in teaching, justise and then authoring.

## المقدمة:

الحمد لله خالق الإنسان مُعلمه البيان، جاعل الشمس والقمر تدوران في فلكيهما بحسبان، المنزل على نبيّه محمّوً هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا<sup>(1)</sup>، والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله الذي خَدَمَ الله به المرسلين، إمام المهاجرين الذي كان من دعائه ما ذكره الله في القرآن الكريم: "وقل رب أدخلني مدخل صدق- أي المدينة المنورة- وأخرجني مخرج صدق - أي مكة المكرمة- واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً - أي قوة تنصرنى بها على أعدائي وأعدائك". قالها صلى الله عليه وسلم عند بداية رحلة الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة، فنصره الله وأعزّه، وهزم أعداءه وخذلهم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المهاجرين إلى الله بدينهم والأنصار الذين أووهم ونصروهم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

فهذا بحث بعنوان :

**"رحلة الفقيه ابن العربي المالكي إلى المشرق وآثارها العلمية".**

وقد بنيتُ هذا البحث على مقدمة و أربع دعائم وخاتمة:

**- الدعامة الأولى: الرحلة : أهميتها وأنواعها.**

(1) سورة الفرقان الآية: 62.

- الدعامة الثانية: التعريف بالفقيه ابن العربي المالكي.

- الدعامة الثالثة: رحلة ابن العربي المالكي.

- الدعامة الرابعة: آثار رحلة ابن العربي المالكي.

ثم الخاتمة وفهارس البحث.

## الدعامة الأولى

الرحلة: أهميتها وأنواعها

\* مفهوم الرحلة:

جاءت كلمة الرحلة من الارتحال، وهو الانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف من الأهداف أيّاً كان نوعه، مادياً أو معنوياً .

والرحلة وُجدت مع وجود الإنسان على كوكب الأرض، فهو يرحل من مكان إلى آخر بحثاً عن الأمن والغذاء .

وقد ورد ذكر الرحلة في القرآن الكريم بالنسبة إلى قبيلة قريش، و ذكره الله تعالى في مقام الامتنان والنعمة التي تستوجب شكر المنعم وهو الله سبحانه وتعالى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَكُلِّمْنَا قُرَيْشًا بِآيَاتِنَا﴾ (فهم رِحْلَةُ الشَّدَاءِ وَالصَّدِيفِ فَلْيُكَلِّمُوا رَبَّ هَلْ أَتَاكَ بَشَرٌ مِّنْهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ

{(1). لأنَّ أهل مكة كانوا يألفون الرحلة والأسفار بغرض التجارة، وهذا الترحال مهم في حياة الإنسان؛ لأنه مخلوق اجتماعي لا بد له من الاختلاط بالآخر، وتبادل المنافع وهذا يتطلب الترحال، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَعَلْنَا لَكُمْ لِيُحَاكِمُوا حَاكِمِينَ وَإِنَّا لَنَجْعَلُ لَكَ خَلِيفَةً مِّنْ أَهْلِ مَكَّةَ بَعْدَكَ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَاسْتَضِئْ بِنُورِ اللَّهِ إِنَّهُ يَبْصُرُ الْقُلُوبَ وَيَعْلَمُ السِّرَّ وَالْغُيُوبَ﴾ (2)، فهذه الشعوب والقبائل والتعارف كما يقول الطاهر بن عاشور (3): (يحصل طبقة بعد طبقة متدرجاً إلى الأعلى، فالعائلة الواحدة متعارفون، والعشيرة متعارفون من عائلات إذ لا يخلون عن انتساب ومصاهرة، وهكذا تتعارف العشائر مع البطون والبطون مع العشائر، والعشائر مع القبائل، والقبائل مع الشعوب؛ لأن كل درجة تأتلف من مجموع الدرجات التي دونها .

فكان هذا التقسيم الذي ألهمه الله إياه نظاماً محكماً لربط أو اصرهم دون مشقة ولا تعذر فإن تسهيل حصول العمل بين عدد واسع الانتشار يكون بتجزئة تحصيله بين العدد القليل ثم يبيث عمله بين طوائف من ذلك العدد القليل ثم بينه وبين جماعات أكثر وهكذا حتى يعم أمة أو يعم الناس

(1) سورة قريش الآية 1-4.

(2) سورة الحجرات الآية 13.

(3) محمد الطاهر بن عاشور (1879-1973م) رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها. ع. بن عام 1932م شيخاً للإسلام، له مصنفات مطبوعة من أشهرها: مقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، و تفسير التحرير والتنوير. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج6، ص174، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1980م.

كلهم وما انتشرت الحضارات المماثلة بين البشر إلا بهذا الناموس الحكيم<sup>(1)</sup>.

وهذا الذي ذكره ابن عاشور لا يتم إلا عن طريق الأسفار والرحلات والتنقل من مكان لآخر، وإن فالرحلات والأسفار هي التي تجعل الشعوب تختلط وتتعارف وتتبادل المنافع الدينية والدنيوية، وعلى ذلك فالرحلة: "هي الكشف عن طبيعة الوعي بالآخر التي تتشكل عن طريق الرحلة، والأفكار التي تسربت عبر سطور الرحالة، والانتباهات التي ميّزت نظرهم إلى الدول والناس والأفكار، فأدب الرحلة على هذا الصعيد يُشكّل ثروة معرفية كبيرة ومخزناً للقصص والظواهر والأفكار، فضلاً عن كونه مادة سردية مشوقة، تحتوي على الطريف والغريب والمدهش مما تلتقطه عيون تتجول وأنفس تنفعل بما ترى"<sup>(2)</sup>.

انظر على سبيل المثال ما قام به الرحالة العربي المسلم: "ابن بطوطة"<sup>(3)</sup>، المولود عام [703هـ/1304م] بالمغرب الأقصى، والذي طاف حول معظم بلاد العالم وقتها، فطاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس واليمن والبحرين وتركستان، وبلاد ماوراء

(1) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج26، ص259-260، دار سحنون، تونس، 1997م.  
(2) مارأيت وما سمعت من دمشق إلى مكة، خير الدين الزركلي، ص9، ط1، دار السويدي، أبوظبي، 2009م.

(3) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة: رحالة، مؤرخ، ولد ونشأ في طنجة بالمغرب الأقصى وخرج منها سنة 725هـ، فطاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين وجاوة وبلاد التتر وأواسط إفريقيا، واستغرقت رحلته 27 سنة جمات في مراكش. الأعلام، ج6، ص236.

النهر، وبعض بلاد الهند والصين وبلاد التتر، وأواسط إفريقية، وسجّل كل مُشاهداته وملاحظاته في كتابه المعروف: "تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار".

وقد ورد في هذا الكتاب أخبار وعجائب وعادات وتقاليد، ومعارف شتى نتيجة رحلة ابن بطوطة رحمه الله تعالى.

ولاشك أن الرحلة إذا استكملت مقوماتها المشروعة فإنها ستعود على الإنسانية بالخير الوفير في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة.

ففي الدنيا يكون السعي في الأرض ابتغاء الفضل من الله من نحو رزق أو علم، أو صحبة خيرة، كما قال الناظم:

تغرب عن الأوطان في طلب العلى

وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفريج هم، واكتساب معيشة

وعلم، وآداب، وصحبة ماجد

ومن أبلغ ماورد في الحض على الرحلة ما يُنسب إلى الإمام الشافعي رحمه الله :

سافر تجد عوضاً عمّن تُفارقه

وانصب فإن لذيق العيش في النصب

إني رأيت وقوف الماء يُفسده

إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطب

والأسد لولا فراق الغاب ما افترت

والسهم لولا فراق القوس لم يصب

والتبر كالترب ملقى في أماكنه

والعود في أرضه نوع من الحطب

فأنت ترى في هذه الأبيات تحريض الإمام الشافعي رحمه الله على الأسفار والرحلة، ففيها من الخير ما فيها، فمن خلالها يتعرف الإنسان على الآخرين وربما يكونوا خيراً ممن يعرفهم ويفارقهم، وفيها النصب والكد الذي يجعل للحياة طعماً مقبولاً ومذاقاً طيباً .

### أنواع الرحلة:

الرحلة أنواع بحسب حال المرتحل وتطلعاته.



[1] فهناك الهجرة: وهي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام، وقد كانت فرضاً على المسلمين في أيام النبي صلى الله عليه وسلم الذي هاجر من مكة إلى المدينة، وأمر بالهجرة، وقد انقطعت بقوله صلى الله عليه وسلم: "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا"<sup>(1)</sup>.

[2] الرحلة في طلب العلم: لقول ابن حجر: قُمتُ في الرحلة ثلاثين سنة. وقال: كتبتُ عن ألف شيخ وكسر كلهم ثقات"<sup>(2)</sup>.

[3] الرحلة للحج أو العمرة.

[4] الرحلة لكسب العيش،...

فالرحلة شأنها عظيم وفوائدها كثيرة لا تُحصى.

بعد بيان مفهوم الرحلة وأهميتها وأنواعها، يجدر بنا أن ننتقل إلى التعريف بعالمنا صاحب الرحلات والتنقلات بين المغرب والمشرق، فمن هو ابن العربي؟ وفي أي بلد وُلد؟ وما شأنه؟

(1) مصنف عبد الرزاق، عبد الرزاق الصنعاني، ج5، ص309، تح: حبيب الرحمن الاعظمي، المجلس العلمي، بغداد.

(2) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ج11، ص339-387، ط1، دارالفكر، بيروت.

## الدعامة الثانية

### التعريف بابن العربي المالكي<sup>(1)</sup>.

#### اسمه ونسبه:

هو محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي، يكنى أبو بكر الأشبيلي، ويشترك ابن العربي - صاحب الترجمة - مع ابن عربي الصوفي، صاحب كتاب: "الفتوحات المكية"، في الكنية واللقب، فكل منهما يكنى أبو بكر، كما يلقب كل منهما بابن العربي. ويفرّق بينهما بـ "أل" التعريف، فيقال للفقيه المالكي: ابن العربي، ويقال للصوفي: ابن عربي.

#### مولده ونشأته:

وُلِدَ ابن العربي - رحمه الله تعالى - عام ثمان وستين وأربعمائة من الهجرة ببلده أشبيلية، وقرأ القراءات، ثم رحل إلى مصر والشام وبغداد ومكة، وكان يأخذ من علماء كل بلد يرحل إليه، حتى أتقن الفقه والأصول وقَيّد الحديث واتسع في الرواية.

رحل القاضي أبو بكر مع والده سنة 485هـ في مستهل جمادى الأولى، وقصد الشام، وقصد أبا بكر محمد بن الوليد

(1) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تج: شعيب الارنؤوط و محمد نعيم العرقسوسي، ج20، ص198، مؤسسة الرسالة، بيروت. =  
=نفتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن المقرئ التلمساني، تج: إحسان عباس، ج2، ص25 وما بعدها، ط1، دار صادر، بيروت، 1971م.

الطرطوشي<sup>(1)</sup> وتفقهه عنده، وقد لقيَ بالشام كثيراً من العلماء وأهل الحديث. ولما كانت بغداد - حماها الله وأقال عثرتها - حينذاك تعج بالعلماء والمحدثين الذين طار ذكرهم في البلاد، فقد ودَّع القاضي أبو بكر الشام بعد أن قضى إربه منها، وقصد بغداد ودخلها، وسمع بها من أبي الحسين المبارك عبد الجبار الصيرفي، كما سمع من غيره من الشيوخ.

رحل القاضي أبو بكر للحج في سنة تسع وثمانين وأربعمائة فحجَّ ولقىَ كثيراً من العلماء في موسم الحج، ثم عاد إلى بغداد مواصلاً أخذه من الشيوخ بجد لا يعرف الفتر، فأخذ عن الأئمة وعلى رأسهم حُجَّة الإسلام أبي حامد الغزالي، وقيد الحديث واتسع في الرواية، وأتقن مسائل الخلاف والأصول والأحكام على أئمة العلم في بغداد.

وبعد هذا رحل القاضي قاصداً وطنه الأندلس، وفي طريقه دخل مصر وأقام بالإسكندرية عند شيخه الطوسي وكتب عنه كما لقيَ علماء آخرين من المحدثين، فكتب عنهم وكتبوا عنه، فأفادهم واستفاد منهم<sup>(2)</sup>.

(1) هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي الفقيه الكلي الزاهد، المعروف بابن أبي رندقة، كان إماماً عالماً زاهداً ورعاً دينياً متواضعاً متقشفاً، وله من التصانيف سراج الملوك وكتاب بر الوالدين وكتاب الفتن وغير ذلك، توفي بالإسكندرية سنة (520هـ). وفيات الأعيان، ج4، ص261.

(2) كتاب صلة الصلة، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي، ج2، ص558، مكتبة الثقافة الدينية.

## علم ابن العربي وخذلّقه:

كان ابن العربي من أهل التفنن في مختلف العلوم، قد أخذ من كل فن بطرف مع براعة فائقة في الحديث والفقه، متقدماً في المعارف كلها، متكلماً في مختلف أنواعها، ثاقب الذهن حاضر البديهة، حريصاً على نشر العلم وأدائه، وكان فصيحاً، حافظاً، أديباً، شاعراً، كثير الملح، خفيف المجلس، فقد جمع إلى سعة علمه خُلُقاً فريداً ومعشراً طيباً، مع ثبات وكثرة احتمال، ويذكر ابن الزبير في كتابه: "الصلة" فيقول: "إنّ القاضي ابن العربي كان في مقامه بأشبيلية ملتزماً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى أصيب من جراء ذلك بذهاب كتبه وماله، فاحتمل ذلك وأحسن الصبر.

وزيادة على مكانته العلمية اتصف ابن العربي بصفات كثيرة كلها خير وبركة. فقد كان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع هله متقدماً في المعارف كلها متكلماً في أنواعها، نافذاً في جمها حريصاً على أدائها ونشرها، ثاقب الذهن في تميز الصواب منها، يجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة، وكثرة الاحتمال، وكرم النفس، وحسن العهد، وثبات الود"<sup>(1)</sup>.

هذه الصفات هيأت له وضعاً اجتماعياً متميزاً وسط أهله وعشيرته، حيث سكن بلده، وسمع ودرس الفقه والأصول، وجلس للوعظ والتفسير، ورُحِلَ إليه للسمع، قال الذهبي: "قال القاضي عياض، وهو ممن أخذوا

(1) المرجع السابق، ج2، ص558.

عنه: استقصى ببلده، فنفذ الله به أهلها لصرامته وشدة نفوذ أحكامه، كانت له في الظالمين سورة مرهوبة، وتؤثر عنه في قضايا أحكام غريبة، ثم صرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه<sup>(1)</sup>.

### الدعامة الثالثة

#### رحلات ابن العربي المالكي

إن الشيخ ابن العربي - رحمه الله - كثير الترحال في طلب حميد الخصال مهما بعدت عنه الديار، كأنه يستصحب قول الشاعر:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى

فما انحازت الآمال إلا لصابر

(ولد في إشبيلية - لما كانت كبرى عواصم الأندلس - في يوم الخميس 22 من شهر شعبان سنة 468هـ كما مرّ - في بيت من أعظم بيوتها بعد بيت مليكها المعتمد بن عباد<sup>(2)</sup>، وكان أبوه عبد الله بن محمد بن العربي من وجوه علماء الدولة وكبار أعيانها، كما كان خاله أبو القاسم

(1) المرجع السابق، ص 448. و القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية، البشير الترابي، ص 139-140، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1997م.

(2) هو محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي، أبو القاسم، المعتمد على الله: صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولهما، ولد في باجة (بالأندلس) وولي إشبيلية بعد وفاة أبيه (سنة 461 هـ) وامتلك قرطبة وكثيراً من المملكة الأندلسية، كان فصيحاً شاعراً وكاتباً مترسلاً، بديع التوقيع، له ديوان شعر، توفي سنة (288هـ). الأعلام، ج6، ص181.

الحسن بن أبي حفص الهوزني في مكانة رفيعة من المجتمع الأندلسي<sup>(1)</sup> فالأسرة لها وضعها الديني والاجتماعي.

وفي هذه البيئة الكريمة العزيزة نشأ ابن العربي، ومنها أطل على الدنيا في السنوات الأولى من حياته، وتلقى ثقافته الأولى من حياته على يد والده وخاله بمساعدة استاذه الخاص أبي عبد الله السرقسطي، وأعانت هؤلاء الثلاثة على مهمتهم في تكوين صفات المروءة فيه مواهب ممتازة من الذكاء وسعة المدارك ودمائة الخلق، تحلى بها هذا الناشئ الممتاز بكل ما هُيئ له حتى قال هو عن نفسه: (حذقت القرآن وأنا ابن تسع سنين، ثم ثلاثاً لضبط القرآن والعربية والحساب، فبلغت ستة عشر سنة وقد قرأت من الأحرف -أي من القراءات- نحو من عشرة بما يتبعها من إظهار وإدغام ونحوه. وتمرنت في الغريب والشعر واللغة)<sup>(2)</sup>.

هذا الذي ذكره عن نفسه وهو لم يتجاوز الست عشرة سنة تجد مصداقه حينما سرد لنا أول رحلة مع والده من اشبيلية إلى شمال إفريقية.

واسمحو لي أن أقف وقفات في بعض المحطات التي توقف فيها عالمنا، والذي رحل من المشرق مع أبيه إلى الحجاز والشام وبغداد، ثم الإسكندرية -كما تقدّم- ثم رجع إلى إشبيلية بعلم غزير وخير وفير.

### المحطة الأولى : رحلته إلى شمال إفريقية:

(1) انظر فح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد بن أحمد المقرئ، ج2، ص25 وما بعدها.

(2) العواصم من القواصم، القاضي أبوبكر محمد بن العربي، تخ: محب الدين الخطيب، 15، المكتبة العصرية، بيروت، 2010م.

عندما بلغ ابن العربي السابعة عشرة من عمره وسقطت دولة ابن عباد سنة 485هـ خرج مع والده، فنزل في "بجاية" - مكان على ساحل بلاد الجزائر- ثم إلى بلدة "المهدية" ثم رحلوا منها قاصدين السواحل المصرية، لكن سفينتهم تعرّضت للغرق ونجاهاهم الله من هذه النكبة.

وهنا أترك الحديث لعالمنا ليقص علينا خبر تلك النكبة، حيث يقول: وقرّ سبق في علم الله أن يعظم علينا البحر بزوّ له<sup>(1)</sup>، ويغرقتنا في هوله، فخرجنا من البحر، خروج الميت من القبر، وانتهينا بعد خطب طويل- إلى بيوت بني كعب بن سليم- ونحن من السغب<sup>(2)</sup>، على عطب، ومن العري في أقبح زي، وقد قذف البحر زقاق زيت مزقت الحجارة منينتها<sup>(3)</sup> ودسّمت الأدهان وبرها وجلدتها، فاحتزمتها أزرّاء، واشتملناها لُفعا<sup>(4)</sup> تمجنا الأبصار، وتخذلنا الأنصار، فعطف أميرهم علينا، فأوينا إليه فأوانا، وأطعنا الله على يديه وسقانا وأكرم مثوانا، وكسانا بأمر حقير ضعيف، وفن من العلم ظريف).

ويشرح ابن العربي ذلك الأمر الحقير الذي بسببه أكرمهم الأمير، فيقول: (شرحه أنا لما وقفنا على بابه ألقيناه يدير أعواد الشاة، فعل السامد اللاه. فدنوت منه في تلك الأطمار، وسمح لي بياذقته إذ كنت من الصغر في حد يسمح فيه للأغمار، ووقفت بإزائهم أنظر إلى تصرفهم من

(1) انزّل: العجب. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، ج11، ص313، دار صادر، بيروت.

(2) العَبّ ب: الجوع مع التعب، وقيل العطش. المصدر السابق، ج1، ص468.

(3) منينتها: جلدتها. المصدر السابق، ج13، ص415.

(4) جمع لفاح وهو ما يُتلفَع به، أي يُلتحف به. المصدر السابق، ج8، ص320.

ورائهم، إذ كان علق بنفسي بعض ذلك من بعض القرابة في خُلس بطالة، مع غلبة الصبوة والجهالة. فقلت للبياذقة: الأمير أعلم من صاحبه، فلمحوني شزراً، وعظمتُ في عيونهم بعد أن كنت نزرأً .

وتقدم إلى الأمير من نقل إليه الكلام. فاستدناني، فدنوت منه وسألني: هل لي بما هم فيه بصر؟ فقلت: "لي فيه بعض نظر، سيبدو لك ويظهر، حرّك تلك القطعة" ففعل، وعارضه صاحبه، فأمرته أن يحرك أخرى، وما زالت الحركات بينهم تترى، حتى هزمهم الأمير، وانقطع التدبير. فقالوا: ما أنت بصغير وكان في أثناء تلك الحركات قد ترنم ابن عم الأمير منشداً:

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه

وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

فقال : لعن الله أبا الطيب، أويشكُّ الرب؟! فقلت له في الحال: ليس كما ظن صاحبك أيها الأمير، إنما أراد بالرب هنا الصاحب. يقول: ألد الهوى ما كان المحب فيه من الوصال، وبلوغ الغرض من الآمال، على ريب. فهو في وقته كله على رجاء لما يؤمله، وثقة لما يقطع به،... ، ثم قال: وأخذنا نضيف إلى ذلك من الأغراض، في طرفي الإبرام والانتقاض، ما حرّك منهم إلى جهتي داعي الانتهاض. وأقبلوا يتعجبون مني، ويسألونني كم سني؟ ويكشفونني عني. فبقرت لهم حديثي، ونكرت لهم نجيتي.



وأعلمت الأمير بأن أبي معي، فاستدعاه، وقمنا الثلاثة إلى مثواه، فخلع علينا خلعه، وأسبل علينا أدمعه. وجاء كل خوان، بأفنان الألوان- يعني بذلك موائد الطعام وألوان الشراب والطعام، ثم يقول: هذا باب تواضع العلماء.

فانظر إلى هذا العلم الذي هو إلى الجهل أقرب مع تلك الصبابة اليسيرة من الأدب، كيف أنقذانا من العطب، وهذا الذي يرشدكم- إن غفلتم- إلى الطلب<sup>(1)</sup>.

انظر إلى هذه التنشأة الرشيدة والذكاء الوقّاد، جعلت صاحبنا مقدّاهير هوّاب، وفعلاً إنّ المرء بأصغريه: لسانه وجنانه.

بعد هذه المحطة التي كشفت لنا عن مواهب ابن العربي وإقدامه، وإكرام الله له بما رزقه الله من العلم، فاستفاد وأفاد على صغر سنه ووضع الذي ظهر به بعد أن نجّاه الله ووالده من الغرق.

(1) العواصم من القواصم، القاضي أبوبكر محمد بن العربي، تح: محب الدين الخطيب، ص 17-20، المكتبة العصرية، بيروت، 2010م.

## المحطة الثانية: بيت المقدس.

لم يمكث ابن العربي ووالده كثيراً مع أمير قبيلة بني كعب بن سليم، فتوجه مع والده إلى مصر – أعني القاهرة - والتقى هناك القاضي أبا الحسن علي بن الحسن الخلعي<sup>(1)</sup>.

وكذلك لقي أبا الحسن بن شرف، ومهدي الوراق، وأبا الحسن بن داوود الفارسي، وغيرهم<sup>(2)</sup>.

ولم يستقر طويلاً حيث واصل رحلته مع أبيه إلى بيت المقدس، وكان فيها وقتئذ: الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (451-521هـ) وهو من كبار علماء المالكية الأندلسيين، وحاله كحال ابن العربي حيث خرج من الأندلس إلى الشرق، فذهب إلى العراق ومنها إلى دمشق وبيت المقدس، فلقية ابن العربي فيها واستفاد منه علماً كثيراً، يقول ابن العربي رحمه الله: *تذاكرتُ بالمسجد الأقصى مع شيخنا أبي بكر الطرطوشي حديث أبي ثعلبة – يعني الخرشبي المعروف- "إن من ورائكم أياماً للعامل فيها أجر خمسين منكم" . فقالوا: "منهم" . فقال: بل منكم - أي من الصحابة- لأنكم تجدون على الخير أعواناً، وهم لا يجدون عليه أعواناً*).

(1) هو علي بن الحسن بن الحسين بن محمد، أبو الحسن الخلعي الشافعي: مسند الديار المصرية في عصره، مُسله من الموصل، ومولده ووفاته بمصر فنسب إليها، وولي القضاء فحكم يوماً واحداً واستعفى وانزوى بالقرافة، حتى قيل له القرافي، صنف كتاب "الفوائد" في الحديث، ويعرف بفوائد الخلعي توفي سنة (492هـ). الأعلام، ج4، ص273.

(2) انظر العواصم من القواصم، ص12.

ثم قال ابن العربي: (وتفاوضنا كيف يكون أجر من يأتي من الأمة أضعاف أجر الصحابة مع أنهم قد أسسوا الإسلام، وعضدوا الدين، وأقاموا المنار، واقتحموا الأمصار، وحموا البيضة، ومهدوا الملة، وقد قال في الصحيح: لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"، فتراجعنا القول).

ثم يُلخّص لنا هذا المراجعة مع شيخه الطرطوشي فيقول:

(وخلاصته: أن الصحابة كانت لهم أعمال كثيرة لا يلحقهم فيها أحد ولا يدانيهم فيها بشر، وأعمال سواها- من فروع الدين- يساويهم فيها في الأجر من أخلص إخلاصهم، وخلصها من شوائب البدع والرياء بعدهم. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم هو ابتداء الدين والإسلام، وهو أيضا انتهاؤه... حتى إذا قام به قائم مع احتواشه بالمخاوف، وباع نفسه في الدعاء إليه، كان له من الأجر أضعاف ما كان لمن كان متمكناً منه معانا عليه بكثرة الدعاء إلى الله)<sup>(1)</sup>.

وتكلم في هذا كثيراً، يمكن الرجوع فيه إلى ما ذكرناه من مصادر.

### المحطة الثالثة: رحلته إلى دمشق:

إن ابن العربي المالكي - رحمه الله - واصل رحلته مع أبيه إلى الشام، وأقام في دمشق وأخذ عن عدد من علمائها، منهم شيخ الشام

(1) أحكام القرآن، ابن العربي المالكي .، تحك علي محمد الجاوي، ج2، ص 711، دار الجبل، بيروت. ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، ص341.

الحافظ أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي وأبا سعيد الرهاوي، وأبا سعيد الزنجاني،... وغيرهم.

ونقل بعض ملاحظته من عجائب العمران بدمشق وقتها، حيث أنه دعي لتناول الطعام في بيوت بعض الأكابر، فرأى نهراً جارياً إلى موضع جلوسهم ثم يعود إلى ناحية أخرى، قال: (فلم أفهم معنى ذلك، حتى جاءت موائد الطعام في النهر المقبل إلينا، فأخذها الخدم ووضعوها بين أيدينا. فلما فرغنا ألقى الخدم الأواني وما معها في النهر الراجع، فذهب بها الماء إلى ناحية الحريم من غير أن يقرب الخدم من تلك الناحية. فعلمت السر، وإن هذا لعجيب)<sup>(1)</sup>.

ثم ذهب إلى بغداد، ومنها جاء حاجاً مع أبيه، ثم عاد إلى بغداد ومنها قفل راجعاً إلى الشام.

وكان والده قد أثرت فيه الشيخوخة، وفي طريق رجعه إلى الأسكندرية مات والده رحمه الله في أوائل سنة 439هـ، فقبّره فيها.

#### المحطة الرابعة: رجوعه إلى إشبيلية:

بعد وفاة والده - رحمه الله - رجع إلى وطنه إشبيلية فاستقبل استقبالاً يليق به من العلماء ورجال الثقافة والأدب في إشبيلية وماجاورها من عواصم الأندلس (هذا الغائب القادم بعلم المشرق استقبل استقبالاً لا نظير له، وقصده طلاب العلم وأنكباء الأندلس من كل حدب وصوب،

(1) نفح الطيب، ج1، ص338.

وتحول منزله إلى جامعة، وعقدت له حلقات الدرس في الجوامع، وكان ممن أخذ عنه وتلقى عليه طائفة من كبار علماء الإسلام: منهم قاضي المغرب وحافظه القاضي عياض بن موسى اليحصبي مؤلف (لشدّفا) و (مشارك الأنوار)، وابنه القاضي محمد بن عياض، والحافظ المؤرخ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، والإمام عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي صاحب كتاب "الروض الأنف" وغيرهم كثرة لا يتسع المقام لذكرهم<sup>(1)</sup>.

ثم تولى القضاء في إشبيلية في سنة 528هـ. يقول عنه تلميذه القاضي عياض: (ففع الله به أهل إشبيلية لصرامته وشدته ونفوذ أحكامه، وكانت له في الظالمين سورة مرهقة، مع الرفق بالمساكين، والتزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)<sup>(2)</sup>.

وإذا علمنا أن من أهم ثمرات الرحلة العلمية التزود من خلالها بالمعارف والعلوم وكسب الثقافات المختلفة للشعوب، أو كما يقول الدكتور مصطفى المشني: (تبرز قيمة الرحلة العلمية من خلال التزود بالمعارف والعلوم ولقاء الشيوخ وحصول الملكات التي تُزود الإنسان بالمقدرة على المقارنة والتمييز والتمحيص والترجيح، والتعرف على المذاهب والآراء والأساليب والفضائل والأخلاق وأنماط التفكير)<sup>(3)</sup>.

(1) العواصم من القواصم ، ص42.

(2) المصدر السابق، ص45-46.

(3) ابن العربي المالكي الإشبيلي وتفسيره أحكام القرآن، مصطفى المشني، ص22، طدار عمّار، عمّان، 1991م.

إذا كان هذا وزيادة من فوائد الرحلة العلمية فإن عالمنا -رحمه الله- قد تعب في الترحال لكنه استفاد وأفاد وتفرّد في مجاله وتميّز على أقرانه، يقول تلميذه القاضي عياض: ( القاضي الشهير الحافظ أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي، رحل إلى المشرق مع أبيه يوم الأحد مستهل شهر ربيع الأول سنة 485هـ، ودخل الشام ولقي أبا بكر الطرطوشي وتفقه عنده ورحل إلى الحجاز سنة 489هـ، ودخل بغداد مرتين، وصحب أبا بكر الشاشي والغزالي وغيرهما من العلماء والأدباء فأخذ عنهم، ثم صدر عن بغداد ولقي بمصر الإسكندرية جماعة، ثم عاد إلى الأندلس سنة 493هـ، وعاد إلى إشبيلية بعلم كثير لم يدخل به أحد قبله ممن كان له رحلة إلى المشرق).

ثم يقول القاضي عياض نقلاً عن أبي بكر نفسه: (كل من رحل لم يأت بمثل ما أتيت به أنا والقاضي أبو الوليد الباجي<sup>(1)</sup>، أو قال: لم يرحل غيري وغير الباجي، وأما غيرنا فقد تعب...)<sup>(2)</sup> رحمه الله تعالى.

(1) هو سليمان بن خلف بن سعد القرطبي أبو الوليد الباجي، فقيه مالكي كبير، من رجال الحديث. ولد في باجة بالأندلس، ورحل إلى الحجاز سنة 426هـ، فمكث ثلاثة أعوام وأقام ببغداد ثلاثة أعوام، وبالموصل عاماً، وفي دمشق وحلب مدة وعاد إلى الأندلس، فولي القضاء في بعض أبحاثها. وتوفي بالمرية سنة (474هـ) من كتبه: السراج في علم الحجاج و إحكام الفصول في أحكام الأصول. الأعلام، ج3، ص125.

(2) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ، تح: مصطفى السقا وأخران، ج3، ص63، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1942م.

## الدعامة الرابعة

### آثار رحلة ابن العربي المالكي

آثار رحلات ابن العربي المالكي – رحمه الله - غير التدريس والقضاء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قد أفرزت كثيراً من المؤلفات في مختلف الفنون فاقت الثلاثين مؤلفاً ، والتي نذكر بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر، حيث إنَّ طبيعة هذا البحث لا تسمح بسرد كل ما ألفه ابن العربي:

[1] كتابه: أحكام القرآن .

[2] المسالك في شرح موطأ مالك.

[3] عارضة الأحوذى على كتاب الترمذي.

[4] العواصم من القواصم.

[5] الناسخ والمنسوخ.

[6] القانون في تفسير القرآن.

[7] أنوار البحر في تفسير القرآن.

وغير ذلك مما لم نذكره وهو كثير، للعلة السابقة التي ذكرتها، ونقف على واحد من أهمها وهو كتابه أحكام القرآن .

## التعريف بكتاب أحكام القرآن :

يُعدُّ هذا الكتاب من أهم كتب التفسير الفقهي، خاصة عند المالكية، ويقع في أربعة أجزاء، وقد طبع محققاً، حقَّقه علي محمد البيجاوي، حيث يقول في مقدمته: "وها أنا ذا أقدم هذه الطبعة الجديدة، وأبذل فيها جهداً جديداً في الضبط والشرح والتحقيق، راجياً أن يكون ذلك كفاءً لما لقيه الكتاب من تقدير الباحثين وإقبالهم"<sup>(1)</sup>.

كما كُتبت عنه الكثير من الرسائل العلمية، منها كتاب : ابن العربي المالكي وتفسيره أحكام القرآن، لمؤلفه الأستاذ الدكتور مصطفى المشني .

### أهم مصادر ابن العربي المالكي لكتابه "أحكام القرآن" :

تنوعت المصادر التي رجع إليها ابن العربي في إعداد هذا الكتاب، من هذه المؤلفات:

جامع البيان في تفسير القرآن، لمحمد بن جرير الطبري (ت:310هـ).

شفاء الصدور، للنقاش أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد الموصلي(ت: 361هـ) والكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 140 و634.

(1) أحكام القرآن الكريم، ابن العربي المالكي، مقدمة المحقق، ص5.



كتاب: الموطأ، لإمام المذهب الإمام مالك بن أنس (ت: 179هـ).

كتاب: الواضحة، لعبد الملك بن حبيب الأندلسي (ت: 238هـ).

كتاب: المدونة، لعبد السلام بن سعيد المعروف بـ: سحنون (ت: 240هـ).

كتاب: العنبية، لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز العنبي (ت: 254هـ).

ولابن العربي - رحمه الله تعالى - مصادر أخرى لم يُسَمِّ أصحابها، بل كان يكتفي بالنقل عنهم، يقول د. المشني: "وبجانب ما ذكر من المصادر؛ فإنَّ هناك مصادر أخرى لم يذكرها ابن العربي على وجه التعيين أو التخصيص، وإنَّما كان يكتفي بالنقل عن جملة المفسرين أو بعضهم ويعبّر عن ذلك بعبارة تفيد ذلك، مثل: روى المفسرون، وقال أهل التفسير، وقال علماء التفسير... إلخ"<sup>(1)</sup>.

### منهج ابن العربي في تفسيره:

خير من بيّن منهج ابن العربي المالكي في تفسيره هو ابن العربي نفسه، فلننظر نظرة المتدبر في مقدمته التي صدر بها كتابه هذا، قال - رحمه الله تعالى -: "...ولما مَنَّ اللهُ سبحانه وتعالى بالاستبصار في استئارة العلوم من الكتاب العزيز، حسبما مهدته لنا المشيخة الذين لقينا، نظرناها من ذلك المطرح، ثم عرضناه على ما جلبه العلماء، وسبرناه

(1) ابن العربي المالكي وتفسيره لحكام القرآن، ص 54-55.

بعبارة الأشياخ، فما اتفق عليه النظر اثبتناه، وما تعارض فيه شجرناه وشحنناه"، حتى خلص نضاره ورق عراره، فنذكر الآية ثم نعطف على كلماتها بل حروفها، فنأخذ بمعرفتها مفردة ثم نركبها على أخواتها مضافة، ونحفظ في ذلك قسم البلاغة، ونحترز عن المناقضة في الأحكام والمعارضة، ونحتاط على جانب اللأغة، ونقابلها في القرآن بما جاء في السُّنَّة الصحيحة، ونتحري وجه الجميع إذ الكل من عند الله، وإذْما بُعث محمد ﷺ ليبيِّن للناس ما نزل إليهم، ونعقب على ذلك بتوابع لا بُدَّ من تحصيل العلم بها منها حرصاً على أن يأتي القول مستقلاً بنفسه، إلا أن يخرج عن الباب فنحيل عليه في موضعه، مجانين للتقصير والإكثار، وبمشيئة الله نهتدي فمن يهده الله فهو المهتدي لا رب غيره".

إنَّ ابن العربي - رحمه الله تعالى - يتناول تفسير القرآن من الفاتحة إلى سورة الناس، سورة سورة، ولكنه يقف مع آيات الأحكام التي في السورة، وهو في عمله هذا يبدأ ببيان معنى المفردة القرآنية إن كانت مما يحتاج إلى بيان، ثم يبيِّنها مركبة ولا يتجاوز النكات البلاغية إن ظهرت في النص القرآني، ويستفيد من اللأغة العربية ويناقش في بعض الأحيان القراءات. إلخ.

والكتاب مهم ويُعدُّ مرجعاً للتفسير الفقهي عند المالكية، كما كتاب "الجصاص" عند الأحناف، وكتاب "الكيا هراسي" عند الشافعية، وكلاهما كتاب موسوم بـ: "أحكام القرآن".

وكما يقول الدكتور محمد حسين الذهبي - رحمه الله تعالى: إنَّ الكتاب يعتبر مرجعاً مهماً للتفسير الفقهي عند المالكية، وذلك لأنَّ مؤلفه مالكي تأدَّر بمذهبه فظهرت عليه في تفسيره روح التعصُّب والدفاع عنه، غير أنَّه لم يشتط في تعصُّبه إلى الدرجة التي يتغاضى فيها عن زلة علمية تصدر من مجتهد مالكي، ولم يبلغ به التعصُّف إلى الحد الذي يجعله يفند كلام مخالفه إذا كان وجيهاً مقبولاً، والذي يتصفح هذا التفسير يلمس منه روح الإنصاف لمخالفه أحياناً، كما يلمس منه روح التعصُّب المذهبي التي تستولي على صاحبها، فتجعله أحياناً كثيرة يرمي مخالفه وإن كان إماماً له قيمته بالكلمات المقذعة اللاذعة تارة بالتصريح وأخرى بالتلميح<sup>(1)</sup>.

وقد قيل: بالمثال يتضح المقال، فيحسن بنا أن نذكر بعض الأمثلة مما ذكره هذا العالم الجليل حتى نبين مقالته من تفسيره، بقدر ما يفتح الله به، مع مراعاة طبيعة هذا البحث التي لا تسمح لنا بالإطالة والاستطراد، ولكنَّ عزاءنا أنَّ الكتاب متداول بين أيدي العلماء وطلاب العلم وكل من له اهتمام بهذا الشأن، وليكن ذلك في وقفات:

**الوقفَةُ الأولى:** ولتكن هذه الوقفة من سورة البقرة، حيث بدأ بالآية

الثالثة منها، وهي قول الله تبارك وتعالى {يُؤْمِرُونَ بِالنَّجْوَى وَيُؤْمِرُونَ

الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} <sup>(2)</sup>، قال: فيها مسألتان:

(1) التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ج2، ص450، ط8، مكتبة وهبة، القاهرة، 2003م.

(2) سورة البقرة الآية 3.

المسألة الأولى: "يؤمنون"، قد بيّنا حقيقة الإيمان في كتب الأصول ومنها تؤخذ.

المسألة الثانية: "بالغيب" وحقيقته ما غاب عن الحواس مما لا يوصل إليه إلاّ الخبر دون النظر، فأفهموه<sup>(1)</sup>.

ثم ذكر اختلاف العلماء ورجّح بعد ذلك الرأي الذي اختاره وبه استقل، فقال: وقد اختلف فيه - أي الغيب - على أربعة أقوال:

الأول: ما ذكرناه كوجوب البعث، ووجود الجنة ونعيمها، والنار وعذابها والحساب.

الثاني: بالقدر.

الثالث: بالله.

الرابع: يؤمنون بقلوبهم الغائبة عن الخلق، بألسنتهم التي يشاهدها الناس، معناه ليسوا بمنافقين.

ثم قال وكلها قوية، إلاّ الثاني والثالث، فإنّه يدرك بصحيح النظر، فلا يكون غيباً حقيقة وهذا الأوسط وإن كان عاماً فإنّ مخرجه على الخصوص، والأقوى هو الأول أدّه الغيب الذي أخبر به الرسول عليه

(1) أحكام القرآن، ابن العربي المالكي، ج1، ص8.

الصلاة والسلام مما لا تهتدي إليه العقول، والإيمان بالقلوب الغائبة عن الخلق، ويكون موضع المجرور على هذا رفعاً .

وعلى التقدير الأول يكون نصباً، كقولك كبررتُ بزيد، ويجوز أن يكون الأول مقدرًا نصباً، كأنه يقول: جعلت قلبي محلاً للإيمان، وذلك الإيمان بالغيب عن الخلق، ثم قال: وكل هذه المعاني صحيحة، لا يحكم له بالإيمان ولا بحمى الذمار، ولا يوجب له الاحترام إلاً باجتماع هذه الثلاث، فإن أخل بشيء منها لم يكن له حرمة ولا يستحق عصمة.

**الوقف الثانية:** اهتمام ابن العربي بذكر سبب نزول الآية متى وجد لذلك سبيلاً وإن وجد للآية أكثر من رواية في سبب النزول رجح إحدى الروايات بما ظهر لديه من مرجحات. مثال ذلك عند تفسيره لقول الله **التَّعَالَى: هَلُمَّ فِي صَدَلَا تَهْمُ خَاشِعُونَ** {<sup>(1)</sup>، فيها ست مسائل: المسألة الأولى: في سبب نزولها:

روى الزهري عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن عبد القارئ قال: سمعتُ عمر بن الخطاب يقول: كان النبي  $\mu$  إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل، فأنزل عليه يوماً، فلبثنا ساعة، ثم سُرِّيَ عنه، فاستقبل القبلة ورفع يديه، وقال: (اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وأثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا، ثم قال: نزل عليَّ عشر آيات من أقامهنَّ دخل الجنة، ثم قال: **الَّذِينَ**

(1) سورة المؤمنون الآية 2.

هُمُ فِي صَدَلَا تِهِمْ خَاشِعُونَ<sup>(1)</sup>، حتى ختم عشر آيات<sup>(2)</sup>. وهو صحيح، وإن كان قد تكلم فيه أبو عيسى وقطعه. ثم قال ابن العربي: "وكان سبب نزولها في رواية محمد أن النبي ﷺ كان يقلب بصره في السماء إذا صلى، فنزلت آية، قال محمد: إن لم تكفركم لم تكفركم<sup>(3)</sup> هُمُ فِي صَدَلَا تِهِمْ خَاشِعُونَ<sup>(3)</sup>، فلا أدري أية آية هي؟

قال القاضي: هو محمد بن سيرين، وهذا الحديث مقطوع مظنون، فمقصوده غير مقطوع، فسقناه على حاله لكم حتى نكون في معرفته سواء معكم<sup>(4)</sup>.

#### الوقف الثالث: اهتمام ابن العربي بالقراءات:

إنَّ الفقيه ابن العربي - رحمه الله تعالى - يهتم بأوجه القراءة التي في النص القرآني بياناً لها وتوجيهاً. فمن ذلك مثلاً في الآية الأولى من سورة النور، يقول:

المسألة الثانية: قوله (فرضناها) يقرأ بتخفيف الراء وتشديدها، فمن خفف فمعناه أوحيناها معينة مقدره، كما يقول: فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر على كل حر وعبد ذكر وأنثى من المسلمين.

(1) سورة المؤمنون الآية 2.

(2) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، ج5، ص326، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(3) سورة المؤمنون الآية 2.

(4) أحكام القرآن، ج3، ص1307.

ومن شدّد فمعناه على وجهين: إمّا على معنى وضعناه فرائض فرائض، أو فرضاً فرضاً، كما تقول: نزلت فلاناً، قدرت له المنازل واحداً بعد واحد، وفي صحيح مسلم فنزلني زيد، أي رتب لي منازل كثيرة.

الثاني على معنى التكثر، وهو صحيح لا اعتراض عليه<sup>(1)</sup>.

#### الوقف الرابع: مناقشاته اللغوية:

كثيراً ما يحتج ابن العربي المالكي بالأغمة ويناقش على ضوئها كثيراً من المسائل، ويرجح ما يراه من خلال اقتناعه بما ساق من أدلة، وربما استشهد بآراء آخرين يخالفونه الرأي، ولكن إن وجد الحق فيما يعتقد معهم أخذ برأيهم.

ومن أمثلة ذلك تفسيره لسورة العصر، ولم يفسر منها إلا كلمة واحدة هي قوله تعالى: {الْعَصْرُ} <sup>(2)</sup>.

قال ابن العربي: من حلف ألا يكلم رجلاً عصراً لم يكلمه سنة، ولو حلف ألا يكلمه العصر لم يكلمه أبداً، لأنّ العصر هو الدهر...

ثم قال ابن العربي: بناء (ع ص ر) ينطلق على كثير من المعاني، فأمّا ما يتعلق بالزمان؛ ففيه أربعة أقوال:

(1) المرجع السابق، ج3، ص1324.

(2) سورة العصر الآية 1.

الأول: العصر الدهر.

والثاني: الليل والنهار، قال الشاعر:

ولن يلبث العصران يوم وليلة  
وإذا طلبا أن يدركا ما يتمما  
والثالث: العصر الغداة والعشي، قال الشاعر:

وأمله العصرين حتى يملني  
ويرضى بنصف الدّين والأنف راغم  
وقيل: إنَّ العصر مثل الدهر، قال الشاعر:

سبيل الهوى وعر وبحر الهوى غمر  
ويوم الهوى شهر وشهر الهوى دهر  
يريد: عاملاً.

والرابع: إنَّ العصر ساعة من ساعات النهار، قاله مطرف وقتادة.

قال القاضي: إذما حمل مالك يمين الحالف، ألا يكلم امرأ عصرًا  
على السنة، لأنَّه أكثر ما قيل فيه، وذلك على أصله في تغليظ المعنى في  
الأيمان. وقال الشافعي: يبر بساعة إلا أن تكون له نية.

قال ابن العربي: أقول، إلا أن يكون الحالف عربياً، فيقال له:  
ما أردت؟ فإذا فسّره بما يحتمل قيل فيه، وإن كان الأقل، ويجب على  
مذهب مالك أن يحمل على ما يفسّر<sup>(1)</sup>.

(1) أحكام القرآن، ج، ص 1979.



فأنت ترى - عزيزي - القارئ - إنَّ ابن العربي انتصر لما يريد  
بيانه بالمناقشات اللُّغوية والاستشهاد بأشعار العرب.

### الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من ختم  
الله به الرسالات سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى  
يوم الدين.

وبعد...

فقد تم بتوفيق الله وفضله هذا البحث الذي أفردناه لرحلة العالم الفقيه  
ابن العربي المالكي من المغرب إلى المشرق العربي واثارها العلمية.

تناولت فيه أهمية الرحلة بالنسبة لبني الإنسان عامة، وأنها السبب  
المباشر في تأسيس الحضارات وتنوعها، كما تناول البحث الرحلة في  
طلب العلم.

ثم ترجمنا لابن العربي المالكي - رحمه الله - وتتبعنا آثاره العلمية  
في التحصيل والتعليم والتأليف.

## فهرس المصادر والمراجع:

القرآن الكريم .

[1] ابن العربي المالكي الإشبيلي وتفسيره أحكام القرآن، مصطفى المشني، ط1، دار عمّار، عمّان، 1991م.

[2] أحكام القرآن، ابن العربي المالكي ، تح: علي محمد الجاوي، دار الجيل، بيروت.

[3] أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ، تح: مصطفى السقا وآخران، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1942م.

[4] الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1980م.

[5] التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، 1997م.

[6] التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ط8، مكتبة وهبة، القاهرة، 2003م.

[7] تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ط1، دار الفكر، بيروت.

- [8] سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- [9] سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تح: شعيب الارنؤوط و محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- [10] صلة الصلة، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي، مكتبة الثقافة الدينية.
- [11] العواصم من القواصم، القاضي أبوبكر محمد بن العربي، تح: محب الدين الخطيب، المكتبة العصرية، بيروت، 2010م.
- [12] القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية، البشير الترابي، دار ابن حزم، بيروت، 1997م
- [13] لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.
- [14] مارأيت وماسمعت من دمشق إلى مكة، خير الدين الزركلي، ط1، دار السويدي، أبوظبي، 2009م.
- [15] مصنف عبد الرزاق، عبد الرزاق الصنعاني، تح: حبيب الرحمن الاعظمي، المجلس العلمي، بغداد.

[16] نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن المقري التلمساني، تح: إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، 1971م.

[17] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد بن خلكان، تح: إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، 1971م.